

هذا هو الطريق

{ والسماء ذات البروج * واليوم الموعود * وشاهد
ومشهود * قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم
عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما
نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك
السموات والأرض والله على كل شئ شهيد * إن الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
ولهم عذاب الحريق * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير * إن بطش
ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد * وهو الغفور الودود * ذو
العرش المجيد * فعال لما يريد . . . }

إن قصة أصحاب الأخدود - كما وردت في سورة البروج -
حقيقة بأن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل أرض
وفي كل جيل . فالقرآن بإيرادها في هذا الأسلوب مع
مقدمتها والتعقيبات عليها ، والتقريرات والتوجيهات
المصاحبة لها . . . كان يخط بها خطوطاً عميقة في تصور
طبيعة الدعوة إلى الله ، ودور البشر فيها ، واحتمالاتها
المتوقعة في مجالها الواسع - وهو أوسع رقعة من الأرض ،
وأبعد مدى من الحياة - وكان يرسم للمؤمنين معالم

الطريق ، وبعدُ نفوسهم لتلقي أي من هذه الاحتمالات التي يجري بها القدر المرسوم ، وفق الحكمة المكنونة في غيب الله المستور .

إنها قصة فئة آمنت بربها ، واستعلنت حقيقة إيمانها . ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين بطاشين مستهترين بحق " الإنسان " في حرية الاعتقاد بالحق والإيمان بالله العزيز الحميد ، وبكرامة الإنسان عند الله عن أن يكون لعبة يتسلى بها الطغاة بآلام تعذيبها ، ويتلهون بمنظرها في أثناء التعذيب بالحريق .

وقد ارتفع الإيمان بهذه القلوب على الفتنة ، وانتصرت فيها العقيدة على الحياة ، فلم ترسخ لتهديد الجبارين الطغاة ، ولم تفتن عن دينها ، وهي تحرق بالنار حتى تموت . لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة ، فلم يستذلها حب البقاء وهي تعين الموت بهذه الطريقة البشعة ، وانطلقت من قيود الأرض وجوازها جميعاً ، وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها .

وفي مقابل هذه القلوب المؤمنة الخيرة الرفيقة الكريمة هناك جبال جاحدة شريرة مجرمة لئيمة ، وجلس أصحاب هذه الجبال على النار ، يشهدون كيف يتعذب المؤمنون ويتألمون ، جلسوا يتلهون بمنظر الحياة تأكلها النار ،

والأناسي الكرام يتحولون وقوداً وتراباً . وكلما ألقى فتى أو فتاة ، صبية أو عجوز ، طفل أو شيخ ، من المؤمنين الخيرين الكرام في النار ، ارتفعت النشوة الخسيصة في نفوس الطغاة ، وعربد السعار المجنون بالدماء والأشلاء ! هذا هو الحادث البشع الذي انتكست فيه جبلات الطغاة وارتكست في هذه الحمأة ، فراحت تلتذ مشهد التعذيب المروع العنيف ، بهذه الخساسة التي لم يرتكس فيها وحش قط ، فالوحش يفترس ليققات ، لا ليلتذ آلام الفريسة في لؤم وخسة !

وهو ذاته الحادث الذي ارتفعت فيه أرواح المؤمنين وتحررت وانطلقت إلى ذلك الأوج السامي الرفيع ، الذي تشرف به البشرية في جميع الأجيال والعصور .

في حساب الأرض يبدو أن الطغيان قد انتصر على الإيمان ، وإن هذا الإيمان الذي بلغ الذروة العالية ، في نفوس الفئة الخيرة الكريمة الثابتة المستعلية . . لم يكن له وزن ولا حساب في المعركة التي دارت بين الإيمان والطغيان ! ولا تذكر الروايات التي وردت في هذا الحادث ، كما لا تذكر النصوص القرآنية ، أن الله قد أخذ أولئك الطغاة في الأرض بجريرتهم البشعة ، كما أخذ قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وقوم لوط أو كما أخذ فرعون وجنوده أخذ

عزيز مقتدر .

ففي حساب الأرض تبدوا هذه الخاتمة اسيفة أليمة !

أفهلكذا ينتهي الأمر ، وتذهب الفئة المؤمنة التي ارتفعت إلى

ذروة الإيمان ؟ تذهب مع آلامها الفاجعة في الأخدود ؟ بينما

تذهب الفئة الباغية ، التي ارتكست إلى هذه الحمأة ،

ناجية ؟

حساب الأرض يحيك في الصدر شئ أمام هذه الخاتمة

الأسيفة !

ولكن القرآن يعلم المؤمنين شيئاً آخر ، ويكشف لهم عن

حقيقة أخرى ، ويبصرهم بطبيعة القيم التي يزنون بها ،

وبمجال المعركة التي يخوضونها .

إن الحياة وسائر ما يلبسها من لذائذ وآلام ، ومن متاع

وحرمان . . ليست هي الغاية القيمة الكبرى في الميزان . .

وليست هي السلعة التي تقرر حساب الريح والخسارة ،

والنصر ليس مقصوراً على الغلبة الظاهرة ، فهذه صورة

واحدة من صور النصر الكثيرة .

إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة ، وإن

السلعة الرائجة في سوق الله سلعة الإيمان ، وإن النصر

في أرفع صورة هو انتصار الروح على المادة ، وانتصار

العقيدة على الألم ، وانتصار الإيمان على الفتنة . . وفي هذا

الحادث انتصرت أرواح المؤمنين على الخوف والألم ،
وانتصرت على جواذب الأرض والحياة ، وانتصرت على
الفتنة انتصاراً يشرف الجنس البشري كله في جميع
الأعصار . . وهذا هو الانتصار ..
إن الناس جميعاً يموتون ، وتختلف الأسباب ، ولكن الناس
جميعاً لا ينتصرون هذا الانتصار ، ولا يرتفعون هذا الارتفاع ،
ولا يتحررون هذا التحرر ، ولا ينطلقون هذا الانطلاق إلى
هذه الآفاق . . إنما هو اختيار الله وتكريمه لفئة كريمة من
عباده لتشارك الناس في الموت ، وتنفرد دون الناس في
المجد ، المجد في الملأ الأعلى ، وفي دنيا الناس أيضاً . إذا
نحن وضعنا في الحساب نظرة الأجيال بعد الأجيال !
لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل
الهزيمة لإيمانهم ، ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم ؟
وكم كانت البشرية كلها تخسر ؟ كم كانوا يخسرون وهم
يقتلون هذا المعنى الكبير ، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ،
وبشاعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على
الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد ؟
إنه معنى كريم جداً ، ومعنى كبير جداً ، هذا الذي ربحوه
وهم بعد في الأرض ، ربحوه هم يجدون مس النار ، فتحرق
أجسادهم الفانية ، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكیه

النار !

ثم إن مجال المعركة ليس هو الأرض وحدها ، وليس الحياة الدنيا وحدها ، وشهود المعركة ليسوا هم الناس في جيل من الأجيال . إن الملاء الأعلى يشارك في أحداث الأرض ويشهدها ويشهد عليها ، ويزنها بميزان غير ميزان الأرض في جيل من أجيالها ، وغير ميزان الأرض في أجيالها جميعاً . والملاء الأعلى يضم من الأرواح الكريمة أضعاف أضعاف ما تضم الأرض من الناس . . وما من شك أن ثناء الملاء الأعلى وتكريمه أكبر وأرجح في أي ميزان من رأي أهل الأرض وتقديرهم على الإطلاق !

وبعد ذلك كله هناك الآخرة ، وهي المجال الأصيل الذي يلحق به مجال الأرض ، ولا ينفصل عنه ، لا في الحقيقة الواقعة ، ولا في حس المؤمن بهذه الحقيقة .

فالمعركة إذن لم تنته ، وخاتمتها الحقيقية لم تجيء بعد ، والحكم عليها بالجزء الذي عرض منها على الأرض حكم غير صحيح ، لأنه حكم على الشطر الصغير منها والشطر الزهيد .

النظرة الأولى : هي النظرة القصيرة الضيقة المجال التي تعنّ للإنسان العجول . والنظرة الثانية : الشاملة البعيدة

المدى هي التي يروض القرآن المؤمنين عليها ، لأنها تمثل الحقيقة التي يقوم عليها التصور الإيماني الصحيح .
ومن ثم وعد الله للمؤمنين جزاء على الإيمان والطاعة ،
والصبر على الابتلاء ، والانتصار على فتن الحياة . . هو
طمأنينة القلب :

{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله * ألا بذكر الله
تطمئن القلوب } ... [الرعد : 28] .
وهو الرضوان والود من الرحمن :
{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
وداً } [مريم : 96] .

وهو الذكر في الملاء الأعلى :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا مات ولد العبد
قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم .
فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : ماذا
قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول : ابنوا
لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بين الحمد " . . . [أخرجه
الترمذي] .

وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : أنا عند
ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإذا ذكرني في

نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير منه . فإن اقترب إلى شبراً اقتربت إليه ذراعاً ، وإن
اقترب إليّ ذراعاً اقتربت منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته
هرولة " . [أخرجه الشيخان] .

وهو اشتغال الملأ الأعلى بأمر المؤمنين في الأرض :
{ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب
الجحيم . . . } [غافر : 7] .

وهو الحياة عند الله للشهداء :
{ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند
ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل
وان الله لا يضيع أجر المؤمنين . . . } [آل عمران : 169 -
171] .

كما كان وعده المتكرر بأخذ المكذبين والطغاة والمجرمين
في الآخرة والإملاء لهم في الأرض والإمهال إلى حين . .
وان كان أحياناً قد أخذ بعضهم في الدنيا . . ولكن التركيز

كله على الآخرة في الجزء الأخير :

{ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم

مأواهم جهنم وبئس المهاد . . . } [آل عمران : 169 -

[197] .

{ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم

ليوم تشخص في الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد

إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . . . } [إبراهيم : 42 - 43] .

{ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون *

يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون

* خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا

يواعدون . . . } [المعارج : 42 - 43] .

وهكذا اتصلت حياة الناس بحياة الملائكة ، واتصلت

الدنيا بالآخرة ، ولم تعد الأرض وحدها هي مجال المعركة

بين الخير والشر ، والحق والباطل ، والإيمان والطغيان .

ولم تعد الحياة الدنيا هي خاتمة المطاف ، ولا موعد الفصل

في هذا الصراع . . . كما أن الحياة الدنيا وكل ما يتعلق بها

من لذائذ وآلام ومتاع وحرمان ، لم تعد هي القيمة العليا في

الميزان .

انفسح المجال في المكان ، وانفسح المجال في الزمان ،
وانفسح المجال في القيم والموازين ، واتسعت آفاق
النفوس المؤمنة ، وكبرت اهتماماتها ، فصغرت الأرض وما
عليها ، والحياة الدنيا وما يتعلق بها ، وكبر المؤمن بمقدار ما
رأى وما عرف من الآفاق والحيوات ، وكانت قصة أصحاب
الأخدود في القمة في إنشاء هذا التصور الإيماني الواسع
الشامل الكبير الكريم .

هناك إشعاع آخر تطلقه قصة أصحاب الأخدود وسورة
البروج حول طبيعة الدعوة إلى الله ، وموقف الداعية أمام
كل احتمال .

لقد شهد تاريخ الدعوة إلى الله نماذج متنوعة من نهايات في
الأرض مختلفة للدعوات . .

شهد مصارع قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم شعيب ، وقوم
لوط ، ونجاة الفئة القليلة العدد ، مجرد النجاة . ولم يذكر
القرآن للناجين دوراً بعد ذلك في الأرض والحياة . وهذه
النماذج تقرر أن الله سبحانه وتعالى يريد أحياناً أن يعجل
للمكذبين الطغاة بقسط من العذاب في الدنيا ، أما الجزاء
الأوفى فهو مرصود لهم هناك .

وشهد تاريخ الدعوة مصرع فرعون وجنوده ، ونجاة موسى

وقومه ، مع التمكين للقوم في الأرض فترة كانوا فيها أصلح ما كانوا في تاريخهم ، وإن لم يرتقوا قط إلى الاستقامة الكاملة ، وإلى إقامة دين الله في الأرض منهجاً للحياة شاملاً . . وهذا نموذج غير النماذج الأولى .

وشهد تاريخ الدعوة كذلك مصرع المشركين الذين استعصوا على الهدى والإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وانتصار المؤمنين انتصاراً كاملاً . مع انتصار العقيدة في نفوسهم انتصاراً عجيباً . وتم للمرة الوحيدة في تاريخ البشرية أن أقيم منهج الله مهيمناً على الحياة في صورة لم تعرفها البشرية قط ، من قبل ولا من بعد .

وشهد - كما رأينا - نموذج أصحاب الأخدود . .
وشهد نماذج أخرى أقل ظهوراً في سجل التاريخ الإيماني في القديم والحديث . وما يزال يشهد نماذج تتراوح بين هذه النهايات التي حفظها على مدار القرون .

ولم يكن بدّ من النموذج الذي يمثله حادث الأخدود ، إلى جانب النماذج الأخرى ، القريب منها والبعيد . .

لم يكن بد من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون ، ولا يؤخذ الكافرون ! ذلك ليستقر في حس المؤمن - أصحاب دعوة الله - أنهم قد يدعون إلى النهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله ، وأن ليس لهم من الأمر شيء ، إنما

أمرهم وأمر العقيدة إلى الله !

إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ، ثم يذهبوا ، وواجبهم أن يختاروا

الله ، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة ، وأن يستعلوا بالإيمان

على الفتنة وأن يصدقوا الله في العمل والنية . ثم يفعل

الله بهم وبأعدائهم ، كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء .

وينتهي بهم إلى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ

الإيمان ، أو إلى غيرها مما يعلمه هو ويراه .

إنهم أجراء عند الله ، أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا

عملوا وقبضوا الأجر المعلوم ! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه

الدعوة إلى أي مصير ، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن

الأجير !

وهم يقبضون الدفعة الأولى طمأنينة في القلب ، ورفعة في

الشعور ، وجمالاً في التصور ، وانطلاقاً من الأوهاق

والجواذب ، وتحرراً من الخوف والقلق ، في كل حال من

الأحوال .

وهم يقبضون الدفعة الثانية في الملاءة الأعلى وذكراً وكرامة ،

وهم بعد في هذه الأرض الصغيرة .

ثم هم يقبضون الدفعة الكبرى في الآخرة حساباً يسيراً

ونعياً كبيراً .

ومع كل دفعة ما هو أكبر منها جميعاً ، رضوان الله ، وانهم

مختارون ليكونوا أداة لقدره وستاراً لقدرته ، يفعل بهم في الأرض ما يشاء .

وهكذا انتهت التربية القرآنية بالفئة المختارة من المسلمين في الصدر الأول إلى هذا التطور ، الذي أطلقهم من أمر ذواتهم وشخصهم . فخرجوا أنفسهم من الأمر البتة ، وعملوا أجراء عند صاحب الأمر ورضوا خيرة الله على أي وضع وعلى أي حال .

وكانت التربية النبوية تتمشى مع التوجيهات القرآنية ، وتوجه القلوب والأنظار إلى الجنة ، وإلى الصبر على الدور المختار حتى يأذن الله بما يشاء في الدنيا والآخرة سواء . كان - صلى الله عليه وسلم - يرى عماراً وأمه وأباه - رضي الله عنهم - يعذبون العذاب الشديد في مكة ، فما يزيد على أن يقول : " صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة " . .

وعن خباب بن الارت - رضي الله عنه - قال : شكونا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو متوسد برده في ظل الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لما ؟ أو تدعونا ؟ فقال : " قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما

يبعده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى
يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ، فلا يخاف إلا
الله ، والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون " . . [أخرجه
البخاري] .

إن لله حكمة وراء كل وضع ووراء كل حال ، ومدبر هذا
الكون كله ، المطلع على أوله وآخره ، المنسق لأحداثه
وروابطه ، هو الذي يعرف الحكمة المكونة في غيبه
المستور ، الحكمة التي تتفق مع مشيئته في خط السير
الطويل .

وفي بعض الأحيان يكشف لنا - بعد أجيال وقرون - عن
حكمة حدث لم يكن معاصروه يدركون حكمته ، ولعلمهم
كانوا يسألون لماذا ؟ لماذا يا رب يقع هذا ؟ وهذا السؤال
نفسه هو الجهل الذي يتوقاه المؤمن ، لأنه يعرف ابتداء أن
هناك حكمة وراء كل قدر ، ولأن سعة المجال في تصوره ،
وبعد المدى في الزمان والمكان والقيم والموازن تغنيه عن
التفكير ابتداء في مثل هذا السؤال ، فيسير مع دورة القدر
في استسلام واطمئنان . .

لقد كان القرآن ينشئ قلوباً يعدها لحمل الأمانة ، وهذه
القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد

بحيث لا تتطلع - وهي تبذل كل شيء ، وتحتمل كل شيء -
إلى شيء في هذه الأرض ، ولا تنظر إلا إلى الآخرة ، ولا
ترجو إلا رضوان الله ، قلوباً مستعدة لقطع رحلة الأرض
كلها نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية حتى الموت . بلا
جزاء في هذه الأرض قريب ، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار
الدعوة ، وغلبة الإسلام وظهور المسلمين ، بل لو كانوا هذا
الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما فعل
بالمكذبين الأولين !

حتى إذا وجدت هذه القلوب ، التي تعلم أن ليس أمامها في
رحلة الأرض إلا أن تعطى بلا مقابل - أي مقابل - وأن تنتظر
الآخرة وحدها موعداً للفصل بين الحق والباطل . حتى إذا
وجدت هذه القلوب ، وعلم الله منها صدق نيتها على ما
بايعت وعاهدت ، آتاها النصر في الأرض ، وائتمنها عليه ، لا
لنفسها ، ولكن لتقوم بأمانة المنهج الإلهي وهي أهل لأداء
الأمانة منذ كانت لم توعد بشيء من المغنم في الدنيا
تتقاضاه ، ولم تتطلع إلى شيء من الغنم في الأرض تعطاه ،
وقد تجردت لله حقاً يوم كانت لا تعلم لها جزاء إلا رضاه .
وكل الآيات التي ذكر فيها النصر ، وذكر فيها المغنم ، وذكر
فيها أخذ المشركين في الأرض بأيدي المؤمنين نزلت في
المدينة . . بعد ذلك . . وبعد أن أصبحت هذه الأمور خارج

برنامج المؤمن وانتظاره وتطلعه . وجاء النصر ذاته لأن
مشيئة الله اقتضت أن تكون لهذا المنهج واقعية في الحياة
الإنسانية ، تقرره في صورة عملية محددة تراها الأجيال . .
فلم يكن جزاء التعب والنصب والتضحية والآلام ، إنما كان
قдрاً من قدر الله تكمن وراءه حكمة نحاول رؤيتها الآن !
وهذه اللفتة جديرة بأن يتدبرها الدعاة إلى الله ، في كل
أرض وفي كل جيل ، فهي كفيلة بأن تريحهم معالم الطريق
واضحة بلا غش ، وأن تثبت خطى الذين يريدون أن يقطعوا
الطريق إلى نهايته ، كيفما كانت هذه النهاية . ثم يكون قدر
الله بدعوته وبهم ما يكون ، فلا يلتفتون في أثناء الطريق
الدامي المفروش بالجمام والأشلاء ، وبالعرق والدماء ،
إلى نصر أو غلبة ، أو فصل بين الحق والباطل في هذه
الأرض . . ولكن إذا كان الله يريد أن يصنع بهم شيئاً من هذا
لدعوته ولدينه فسيتم ما يريد الله . . لا جزاء على الآلام
والتضحيات . . لا ، فالأرض ليست دار جزاء . . وإنما تحقيقاً
لقدر الله في أمر دعوته ومنهجه على أيدي ناس من عباده
يختارهم ليمضي بهم من الأمر ما يشاء ، وحسبهم هذا
الاختيار الكريم ، الذي تهون إلى جانبه وتصغر هذه الحياة ،
وكل ما يقع في رحلة الأرض من سراء أو ضراء

هنالك حقيقة أخرى يشير إليها أحد التعقيبات القرآنية على

قصة الأخدود في قوله تعالى :

{ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد } . .

حقيقة ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون إلى الله في كل

أرض وفي كل جيل .

إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم هي في صميمها

معركة عقيدة وليست شيئاً آخر على الإطلاق . وإن

خصومهم لا ينقمون منهم إلا الإيمان ، ولا يسخطون منهم إلا

العقيدة . .

إنها ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ، ولا معركة

عنصرية . . ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها ، وسهل

حل إشكالاتها ، ولكنها في صميمها معركة عقيدة - إما كفر

وإما إيمان . . إما جاهلية وإما إسلام !

ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - المال والحكم والمتاع في مقابل شيء

واحد ؛ أن يدع معركة العقيدة وأن يدهن في هذا الأمر ! ولو

أجابهم - حاشاه - إلى شيء مما أرادته ما بقيت بينهم وبينه

معركة على الإطلاق !

إنها قضية عقيدة ومعركة عقيدة . . وهذا ما يجب أن

يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدواً لهم . فإنه لا يعاديهم
لشيء إلا لهذه العقيدة " إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد "
ويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع !
وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية
العقيدة ، راية اقتصادية أو سياسية أو عنصرية ، كي يمؤهوا
على المؤمنين حقيقة المعركة ، ويطفئوا في أرواحهم شعلة
العقيدة . فمن واجب المؤمنين ألا يُخدعوا ، ومن واجبهم أن
يدركوا أن هذا تمويه لغرض مبيت ، وأن الذي يغير راية
المعركة إنما يريد أن يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها
، النصر في أية صورة من الصور ، سواء جاء في صورة
الانطلاق الروحي كما وقع للمؤمنين في حادث الأخدود ، أو
في صورة الهيمنة - الناشئة من الانطلاق الروحي - كما
حدث للجيل الأول من المسلمين .
ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية
العالمية اليوم أن تخدعنا عن حقيقة المعركة ، وأن تزور
التاريخ ، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً
للاستعمار . . . كلا . . . إنما كان الاستعمار الذي جاء متأخراً هو
الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما
كانت في القرون الوسطى ! والتي تحطمت على صخرة
العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر ، وفيهم صلاح

الدين الكردي ، وتوران شاه المملوكي ، العناصر التي

نسيت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية

العقيدة !

{ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد } .

وصدق الله العظيم ، وكذب المموهون الخادعون !